**تنظيم الدولة العباسية**

لم يكن قيام دولة الخلافة العباسية مجرد انتقال الحكم من الامويين الى العباسيين في حكم المسلمين , بل يعد هذا الحدث اكثر من مجرد تغيير في الاسرة الحاكمة , لقد كانت الثورة العباسية , وما نتج عنها من تغيير جذري في المجتمع الاسلامي , نقطة تحول هامة وفاصلة في هذا المجتمع , لا زمته طوال العصر العباسي الاول .

لقد ثبت هذا التنظيم في فترة التحضير للثورة ينم على عبقرية في الاعداد والترتيب , لقد وضع العباسيون الأوائل نهجاً في التنظيم السري , ثم أصبح مثالاً يحتذى , طبقته بعض الدول التي قامت في كنف الخلافة العباسية , كالفاطميين بالإضافة الى الحركات السرية التي قامت في بلاد المسلمين كالقرامطة , ويقوم هذا التنظيم على السرية المطلقة .

لقد انتهج العباسيون الاوائل هذا الاسلوب السري على اثر الكوارث التي حلت بالبيت الاموي , وما عمدت اليه الدولة الاموية من القضاء على الحركات العلوية وزعمائها بشكل خاص .

**مراحل الدعوة العباسية :**

مرت الدعوة العباسية بمرحلتين اساسيتين :

**1- المرحلة السرية :**

تبدأ هذه المرحلة في مستهل القرن الثاني للهجرة وينتهي بانضمام ابي مسلم الخراساني الى الدعوة , وتغطي الفترة الزمنية بين عام (100هـ – 128هـ) , وقد تميزت هذه الدعوة في هذه المرحلة بالسرية التامة وخلوها من اساليب العنف , في الوقت الذي كانت فيه الخلافة الاموية متماسكة .

تقوم الدعوة السرية حول امام من آل البيت يدير دفة هذه الحركة السرية , ويرعى هذه التنظيمات , ويوجه النقاء والدعاة ويقودهم , حيث وضع المشرفون على الدعوة العباسية تنظيماً ادارياً سرياً تضمن سلسلة من المراتب بشكل تسلسلي بهدف تسير مهمة القائمين بها , حيث تبدأ هذه السلسلة بمرتبة النقباء , وهم مساعدي الأئمة , وكان عددهم اثنى عشر نقيباً , وهم وحدهم يعرفون سر الامام ويحتفظون بهذا السر لأنفسهم , وكانوا على طراز واحد من القدرات العسكرية والثقافية والاخلاص للدعوة , والقدرة على استقطاب الانصار , ويلي مرتبة النقباء مرتبة نظراء النقباء وعددهم يساوي عدد النقباء , والنظير يحل محل النقيب عند وفاته , ويساعد النقاء من الدعاة يبلغ عددهم سبعون داعياً , يأتمرون بأمرهم , ويتمتعون بقدرات دعائية وعسكرية مماثلة .

ويبرز من هؤلاء عدد من الدعاة , أخذوا على عاتقهم اعداد الانصار نفسياً وثقافياً , واحداث الثورة , وكانت لهم مواقف مميزة , ويلي مرتبة الدعاة مرتبة دعاة الدعاة .

ويتبع الدعاة في سلسلة المراتب طبقة اخرى ادنى مرتبة هي طبقة العمال , حيث كان لكل داع عدد من العاملين يديرون الجهاز السري , وينتهي الجهاز بخلايا سرية كانت تتوغل في عمق المجتمع في كافة الامصار . وقد قام منطق هذا الجهاز السري على شعارات دعائية هي المساواة والامامة للرضا من آل محمد والدعوة الى الاصلاح([[1]](#footnote-1)) .

ولقد آلت الامامة في هذا التنظيم السري الى بني العباس في فترة مرحلة بالغة الاهمية , حيث يذكر العباسيون قصة يفسرون بها حقهم الشرعي بالخلافة , وهي ان اباهم هاشم محمد بن الحنفية , قصد دمشق بناءً على دعوة سليمان بن عبدالملك فبره , ووصلة , ثم رأى من فصاحته ورئاسته وعلمه ما حسده عليه , فتخوف منه مدركاً إن الشيعة هم الحزب المعارض والمنافس لبني امية , فدس له من يسمه , وشعر ابو هاشم بالسم يجري في جسمه , فأدرك أنه ميت , وكان بالقرب من بلدة الحميمة , فعرج عليها , واجتمع بعلي بن عبد الله العباسي , فأخبره بأنه هالك , وأوصى اليه , وتنازل له عن حقه في الامامة , وسلمه زمام الدعوة , وأمده باسم داعي دعاته في الكوفة ومن يليه من الدعاة , كما سلمه رسائل يقدمها اليهم .

وعلى اساس هذا التنازل , ورث علي بن عبدالله العباسي , وابنه محمد من بعده , جميع الخطط والدعاية السرية التي كانت للشيعة([[2]](#footnote-2)) .

ادرك الامام محمد بن علي العباسي (118هـ – 125هـ) الذي آلت اليه الدعوة العباسية , والذي سعى لنيل الخلافة , أن نقل حق الامامة من بيت الى آخر لابد أن يسبقه اعداد الافكار , وتهيئة النفوس لتقبل الوضع الجديد , لذلك التزم جانب الحيطة والحذر حين طلب من اتباعه دعوة الناس الى وراية آل البيت دون تسمية أحد .

ومن مقره في المحمية اخذ ينظم الدعوة , ويدير شؤونها ويرسل الدعاة , والنقاء الى الجهات الملائمة وأهمها خراسان , وذلك عن طريق شبكة سرية متعددة الحلقات , حملت اسم (دعوة آل البيت) أخذ بعين الاعتبار الحرص على اخفاء اطماعه نحو الخلافة . لا ريب في أن ذلك قد خدع الكثيرين من مؤيدي الدعوة الذين ظنوا انهم يعملون لذرية علي بن ابي طالب عليه السلام .

تجلت قدرت محمد بن علي العباسي في وضع هيكلية التنظيم السري الذي قام على الشعارات الدعائية من اختيار مركز الدعوة وشعاراتها والامصار التي تنطلق منها , وتحديد مقر الدعاة , ومهنتهم , وطريقة التعامل مع الناس .

فمن حيث مركز الدعوة , فقد أختار الحميمة , بفعل موقعها الجغرافي على خط القوافل التجارية وطريق الحج من جهة , كما انها تقع بعيداً عن المسرح السياسي .

ومن حيث الشعار , فإنه نادى بشعار المساواة , والدعوة الى الرضا من آل محمد , والاصلاح . وقد ساهم هذا الشعار في نجاح الدعوة عن طريق :

1. اندماج الشعوب التي اسلمت في الدولة الاسلامية .
2. ضمان تكتل الطالبين وراء الدعوة .

ومن حيث الامصار التي تنطلق منها الدعوة , فإن محمد بن علي امر الدعاة بالتركيز على خراسان . وهذا يعني في واقعه التاريخي , العرب من مقاتلة ومستقرين , والموالي([[3]](#footnote-3)) .

يبدو أن محمد بن علي شعر بتأزم الوضع في خراسان واقترابه من الانفجار بفعل الصراعات القبلية وتذمر الموالي , فرأى أن مرو , هي قصبة خراسان , هي المكان الملائم لاستقطاب الانصار لجيش الثورة , اضافةً الى منطقة بلخ في خراسان كانت مركز للدعوة الشيعية التي قامت باسم آل البيت والتي نادت بأن الطالبين هم الورثة الطبيعيون لخلافة النبي , فمنذ أيام زياد بن أبيه تهجر أعداد كبيرة من الشيعة من الكوفة والبصرة الى منطقة بلخ في خراسان , فكانت ارضاً صالحةً لقيام الدولة العباسية .

ومن حيث تحديد مقر الدعاة , فقد أتخذ الامام العباسي محمد بن علي الكوفة , والمعروفة بالولاء لآل البيت , وهي التي تصلح لان تكون حلقة وصل بين الهاشمية والمحمية وميدان الحركة في مرو , بفعل جوها الموالي للثورة , والمناهض للأمويين.

وقد اشار محمد بن علي على دعاته ان يتعاطوا مهنة التجارة لإخفاء هدفهم الدعائي عن السلطة , كما اوصاهم بنشر الدعوة بالحكمة .

وهكذا توفر للدعوة العباسية القيادة والدعاة المخلصون والبيئة الصالحة .

نظم الدعوة في العراق ثلاثة دعاة هم :

1. ميسرة العبدي , وهو مولى لعلي بن عبدالله بن العباس .
2. بكير بن هامان ويعد من اهم دعاة العراق .
3. أبو سلمة الخلال الذي قاد الدعوة في الاعوام الخمسة الاخيرة قبل تسليم بني العباس السلطة .

اما في خراسان , فقد قامت الدعوة على اكتاف جماعة من الدعاة اشهرهم :

1. ابو عكرمة السراج , مولى ابن عباس .
2. محمد بن خنيس .
3. حيان العطار .
4. كثير الكوفي .
5. خداش البلخي .
6. سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء .

ويبدو ان السلطة الحاكمة , علمت بأمر الدعوة , فطاردت الدعاة , وقتلت بعضهم , وأحدث الامام محمد بن علي العباسي تغييراً استراتيجياً هاماً في فحوى الدعوة حيث خصصها لنفسه , وكشف ذلك لدعاته , على ان يبقى هذا الامر وقفاً عليهم فقط دون العامة .

توفى الامام محمد بن علي العباسي في سنة 125هـ بعد ان قطعت الدعوة شوطاً كبيراً , وقد أوصى بالإمامة من بعده لأبنه ابراهيم([[4]](#footnote-4)) .

1. () ينظر : مؤلف مجهول , أجبار الدولة العباسية , ص216 – 222 . [↑](#footnote-ref-1)
2. () ينكر عدد من المؤرخين هذه الرواية ولا يعتقدون بصحتها , للمزيد حول هذا الموضوع ينظر : ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج4 , ص159 . والمقارنة مع ابن الطقطقي , الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية , ص43 . والذي يذكر ان هشام بن عبدالملك هو الذي استدعى أبا هاشم . وينظر : العبادي , أحمد المختار , في التاريخ العباسي والاندلسي , ص19 – 21 . [↑](#footnote-ref-2)
3. () من حيث تحديد خراسان كمركز لنشر الدعوة , راجع وصية الامام لدعاته . ينظر : المقدسي, أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم , ص293 – 294 . [↑](#footnote-ref-3)
4. () ابن كثير , البداية والنهاية , ج10 , ص5 . [↑](#footnote-ref-4)